

الله الرحمن

تَقْسِمُ الْإِسْرَاءِ

٢٩-٣-٩٦ سورة الإسراء ١٩

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سوره اسراء

وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ
بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مُّسْتَوْرًا (٤٥)

سوره اسراء

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
 آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ
 وَحْدَهُ وَكَلُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا (٤٦)

سوره اسراء

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ
إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ
إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٤٧)

سوره اسراء

انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ
فَضَّلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)

سوره اسراء

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أ
ءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩)

سوره اسراء

- قوله تعالى: «وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» قال في المجمع: الرفات ما تكسر و بلى من كل شيء، و يكثر بناء فعال في كل ما يحطم و يرضض يقال: حطام و دقاق و تراب و قال المبرد: كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات. انتهى.
- في الآية مضي في بيان عدم فقههم بمعارف القرآن حيث استبعدوا البعث و هو من أهم ما يثبت القرآن و أوضح ما قامت عليه الحجج من طريق الوحي و العقل حتى وصفه الله في مواضع من كلامه بأنه «لَا رَيْبَ فِيهِ» و ليس لهم حجة على نفيه غير أنهم استبعدوه استبعاداً.

سوره اسراء

- و من أعظم ما يزين في قلوبهم هذا الاستبعاد زعمهم أن الموت فناء للإنسان و من المستبعد أن يتكون الشيء عن عدم بحث كما قالوا: أ إذا كنا عظاما و رفاتا بفساد أبداننا عن الموت حتى إذا لم يبق منها إلا العظام ثم رمت العظام و صارت رفاتا أ إنا لفي خلق جديد نعود أناسي كما كنا؟ ذلك رجع بعيد و لذلك رده سبحانه إليهم بتذكيرهم القدرة المطلقة و الخلق الأول كما سيأتي.

سوره اسراء

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠)

سوره اسراء

أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ
يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ
إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)

سوره اسراء

- قوله تعالى: «قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» جواب عن استبعادهم، و قد عبروا في كلامهم بقولهم: «أإذا كنا» فأمر سبحانه نبيه ص أن يأمرهم أمر تسخير أن يكونوا حجارة أو حديدا «إلخ» مما تبديله إلى الإنسان أبعد و أصعب عندهم من تبديل العظام الرفات إليه.
- فيكون إشارة إلى أن القدرة المطلقة الإلهية لا يشقها شيء تريد تجديد خلقه سواء أ كان عظاما و رفاتا أو حجارة أو حديدا أو غير ذلك.

سوره اسراء

- والمعنى: قل لهم ليكونوا شيئاً أشد من العظام و الرفات حجارة أو حديداً أو مخلوقاً آخر من الأشياء التي تكبر في صدورهم و يبالغون في استبعاد أن يخلق منه الإنسان - فليكونوا ما شاءوا فإن الله سيعيد إليهم خلقهم الأول و يبعثهم.

الله خالق السمّواتِ و الأرضِ

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ
 هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ
 مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ

سوره اسراء

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ
تَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)

سوره اسراء

- قوله تعالى: «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» «يَوْمَ» منصوب بفعل مضمر أى تبعثون يوم كذا و كذا و الدعوة هى أمره تعالى لهم أن يقوموا ليوم الجزاء و استجابتهم هى قبولهم الدعوة الإلهية، و قوله: «بِحَمْدِهِ» حال من فاعل تستجيبون و التقدير تستجيبون متلبسين بحمده أى حامدين له تعدون البعث و الإعادة منه فعلا جميلا يحمد فاعله و يثنى عليه لأن الحقائق تنكشف لكم اليوم فيتبين لكم أن من الواجب فى الحكمة الإلهية أن يبعث الناس للجزاء و أن تكون بعد الأولى أخرى.

سوره اسراء

- و قوله: «و تَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» أى تزعمون يوم البعث أنكم لم تلبثوا فى القبور بعد الموت إلا زمانا قليلا و ترون أن اليوم كان قريبا منكم جدا.
- و قد صدقهم الله فى هذه المزعمة و أن خطأهم فيما ضربوا له من المدة قال تعالى:

سوره اسراء

- «قال إن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: المؤمنون، ١١٤، و قال: «و يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ»: الروم: ٥٦ إلى غير ذلك من الآيات.
- و في التعرض لقوله: «وَ تَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» تعريض لهم في استبطائهم اليوم و استهزائهم به، و تأييد لما مر من رجاء قربه في قوله: «قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا» أي و أنكم ستعدونه قريباً، و كذا في قوله: «فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ» تعريض لهم في استهزائهم به و تعجبهم منه أي و أنكم ستحمدونه يوم البعث و أنتم اليوم تستبعدونه و تستهزون بأمره.

سوره اسراء

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)

سوره اسراء

- قوله تعالى: «قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ» إلخ يلوح من السياق أن المراد بعبادي هم المؤمنون فالإضافة للتشريف، و قوله: «قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا» إلخ أى مرهم أن يقولوا فهو أمر و جواب أمر مجزوم، و قوله: «الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أى الكلمة التى هى أحسن، و هو اشتمالها على الأدب الجميل و تعريها عن الخشونة و الشتم و سوء الأمر.

سوره اسراء

- الآية و ما بعدها من الآيتين ذات سياق واحد، و خلاصة مضمونها الأمر بإحسان القول و لزوم الأدب الجميل فى الكلام تحرزا عن نزع الشيطان، و ليعلموا أن الأمر إلى مشية الله لا إلى النبی ص حتى يرفع القلم عن كل من آمن به و انتسب إليه و يتأهل للسعادة، فله ما يقول، و له أن يحرم غيره كل خير و يسيء القول فيه فما للإنسان إلا حسن سريرته و كمال أدبه، و قد فضل الله بذلك بعض الأنبياء على بعض و خص داود بإيتاء الزبور الذى فيه أحسن القول و جميل الثناء على الله سبحانه.

سوره اسراء

- و من هنا يظهر أن المؤمنين قبل الهجرة ربما كانوا يحاورون المشركين فيغلظون لهم في القول و يخاشنونهم بالكلام و ربما جبهوهم بأنهم أهل النار، و أنهم معشر المؤمنين أهل الجنة ببركة من النبي ص فكان ذلك يهيج المشركين عليهم و يزيد في عداوتهم و يبعثهم إلى المبالغة في فتنهم و تعذيبهم و إيذاء النبي ص و العناد مع الحق.

سوره اسراء

- فأمر الله سبحانه نبيه ص أن يأمرهم بقول التي هي أحسن و المقام مناسب لذلك فقد تقدم أنفا حكاية إساءة الأدب من المشركين إلى النبي و تسميتهم إياه رجلا مسحورا و استهزائهم بالقرآن و بما فيه من معارف المبدأ و المعاد، و هذا هو وجه اتصال الآيات الثلاث بما قبلها و اتصال بعض الثلاث ببعض فافهم ذلك.

سوره اسراء

• فقله: «وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أمر بالأمر و المأمور به قول الكلمه التي هي أحسن فهو نظير قوله: «وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»: النحل: ١٢٥ و قوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ» تعليل للأمر، و قوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا» تعليل لنزع الشيطان بينهم.

• و ربما قيل: إن المراد بقول التي هي أحسن الكف عن قتال المشركين و معاملتهم بالسلم و الخطاب للمؤمنين بمكة قبل الهجرة فالآية نظيرة قوله: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»: البقرة: ٨٣ على ما ورد في أسباب النزول، و أنت خير بأن سياق التعليل في الآية لا يلائمه.

سوره اسراء

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ
إِنْ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٤)

سوره اسراء

- قوله تعالى: «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنَّ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً» قد تقدم أن الآية و ما بعدها تتمه السياق السابق، و على ذلك فصدر الآية من تمام كلام النبي ص الذى أمر بإلقائه على المؤمنين بقوله: «قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا» إلخ و ذيل الآية خطاب للنبي خاصة فلا التفات فى الكلام.

سوره اسراء

- و يمكن أن يكون الخطاب في صدر الآية للنبي ص و المؤمنين جميعا بتغليب جانب خطابه على غيبتهم، و هذا أنسب بسياق الآية السابقة و تلاحق الكلام، و الكلام لله جميعا.

سوره اسراء

- و كيف كان فقوله: «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَاءُ يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنَّ يَشَاءُ يُعَذِّبِكُمْ» في مقام تعليل الأمر السابق ثانياً، و يفيد أنه يجب على المؤمنين أن يتحرزوا من إغلاظ القول على غيرهم و القضاء بما الله أعلم به من سعادة أو شقاء كأن يقولوا: فلان سعيد بمتابعة النبي و فلان شقي و فلان من أهل الجنة و فلان من أهل النار و عليهم أن يرجعوا الأمر و يفوضوه إلى ربهم فربكم - و الخطاب للنبي و غيره - أعلم بكم و هو يقضى فيكم على ما علم من استحقاق الرحمة أو العذاب إن يشاء يرحمكم و لا يشاء ذلك إلا مع الإيمان و العمل الصالح على ما بينه في كلامه أو إن يشاء يعذبكم و لا يشاء ذلك إلا مع الكفر و الفسوق، و ما جعلناك أيها النبي عليهم و كيلاً مفوضاً إليه أمرهم حتى تختار لمن تشاء ما تشاء فتعطى هذا و تحرم ذاك.

سوره اسراء

• و من ذلك يظهر أن التردد في قوله: «إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبَكُمُ» باعتبار المشية المختلفة باختلاف الموارد بالإيمان والكفر والعمل الصالح والطالح وأن قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا» لردع المؤمنين عن أن يعتمدوا في نجاتهم على النبي ص و الانتساب إلى قبول دينه نظير قوله: «لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ» النساء: ١٢٣ و قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» البقرة: ٦٢ و آيات أخرى في هذا المعنى.

• و في الآية أقوال آخر تركنا التعرض لها لعدم الجدوى.

سوره اسراء

وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ
عَلَى بَعْضٍ وَ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا (٥٥)

سوره اسراء

- قوله تعالى: «وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا» صدر الآية توسعة في معنى التعليل السابق كأنه قيل: وكيف لا يكون أعلم بكم وهو أعلم بكم وهو أعلم بمن في السماوات والأرض وأنتم منهم.

سوره اسراء

- و قوله: «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ» كأنه تمهيد لقوله: «وَأَتَيْنَا دَاوُدَ ذُبُورًا» و الجملة تذكر فضل داود ع بكتابه الذي هو زبور و فيه أحسن الكلمات في تسبيحه و حمده تعالى، و فيه تحريض للمؤمنين أن يرغبوا في أحسن القول و يتأدبوا بالأدب الجميل في المحاوره و الكلام.

سوره اسراء

قُلْ اَدْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا
يَمْلِكُوْنَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ اَلَا
تَحْوِيْلًا (٥٦)

سوره اسراء

- قوله تعالى: «قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا» الزعم بتثليث الزاى مطلق الاعتقاد ثم غلب استعماله فى الاعتقاد الباطل، و لذا نقل عن ابن عباس أن ما كان فى القرآن من الزعم فهو كذب.

سوره اسراء

- و الدعاء و النداء واحد غير أن النداء إنما هو فيما إذا كان معه صوت و الدعاء ربما يطلق على ما كان بإشارة أو غيرها، و ذكر بعضهم فى الفرق بينهما أن النداء قد يقال إذا قيل: يا أو أيا أو نحوهما من غير أن يضم إليه الاسم، و الدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان. انتهى.

سوره اسراء

- و الآية تحتج على نفي ألوهية آلهتهم من دون الله بأن الرب المستحق للعباد يجب أن يكون قادرا على إيصال النفع و دفع الضر إذ هو لازم ربوبية الرب على أن المشركين مسلمون لذلك و إنما اتخذوا الآلهة و عبدوهم طمعا في نفعهم و خوفا من ضررهم لكن الذين يدعونهم من دون الله لا يستطيعون ذلك فليسوا بآلهة، و الشاهد على ذلك أن يدعوهم هؤلاء الذين يعبدونهم لكشف ضرر مسهم أو تحويله عنهم إلى غيرهم فإنهم لا يملكون كشفا و لا تحويلا.

سوره اسراء

- و كيف يملكون من عند أنفسهم كشف ضر أو تحويله و يستقلون بقضاء حاجة و رفع فاقة و هم في أنفسهم مخلوقون لله يبتغون إليه الوسيلة يرجون رحمته و يخافون عذابه باعتراف من المشركين.

سوره اسراء

- فقد بان أولاً أن المراد بقوله: «الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ» هم الذين كانوا يعبدونهم من الملائكة و الجن و الإنس فإنهم إنما يقصدون بعبادة الأصنام التقرب إليهم و كذا بعبادة الشمس و القمر و الكواكب التقرب إلى روحانيتهم من الملائكة.
- علي أن الأصنام بما هي أصنام ليست بأشياء حقيقية كما قال تعالى: «إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ».

سوره اسراء

- و أما ما صنعت منه من خشب أو فلز فليس إلا جمادا حال الجماد في التقرب إليه و السجود له و تسبيحه، و ليست من تلك الجهة بأصنام.
- و ثانيا: أن المراد بنفي قدرتهم نفي استقلالهم بالقدرة من دون استعانة بالله و استمداد من إذنه



قم - ۵۵ متری عمار یاسر - کوچه ۱۵ - پلاک ۸۲ تلفن: ۰۲۵-۳۷۷۱۶۰۶۰ - دورنگار: ۳۷۷۱۹۷۴۰

islamquest.net - ravaqhekmat.ir